

أبناء البيت الكبير

قصة شعرية للدكتور حامد طاهر

كانت امراض الشيخوخة

قد زحفت بالفعل على الحاج سرحان

ابن الثمانين ، وتاجر الشموع بالمغورية

أما روحه فقد ضعفت كثيرا

نتيجة سنوات العمل المتواصلة

والتي لم يأخذ فيها أجازة ليوم واحد

**

كان الرجل كثير الأبناء

سبعة ذكور ، وأربع بنات

وقد استأجر بيتا كبيرا

في حي المدرب الأحمر العتيق

كان إذا أراد ان يزوج أحد ابنائه

يخصص له غرفة مستقلة

لكنهم العائلة كلها كانت تجتمع على الطعام :

الأب والأبناء على طبلية ،

والمحاجة فاطمة والمينات على طبلية أخرى

والمطيب أن أحدا لم يكن يشكو أو يتذمر

وحين عرض أحدهم على الوالد

أن يسمح له بالمساهمة في مصاريف البيت

نهره بشدة، واعتبر ذلك إهانة!

**

ورغم أن العائد من تجارة الشموع

قد بدأ يتراجع

فقد ظل الحال في البيت الكبير كما هو..

وكان الفضل الكبير في هذا للمحاجة فاطمة

فقد كانت تمسك بزمام الأمور

وتجيد توزيع الدخل مهما قل ..

وتحسم بعقلها المراجح أى مشكلة تثار

والمأهم أنها لم تكن تثقل على زوجها

بأية هموم

**

وذات ليلة باردة ، جاء الموت

فانتزع الحاجة فاطمة من هذا البيت الكبير

ولم يستطع الحاج سرحان

أن يعيش بعدها سوى شهور

حتى لحق بها ..

ويقال إن كل تجار الغورية مشوا فى جنازته

فقد كان تاجرا أميناً وشريفاً

وعقب انتهاء مراسم المعزاء

كان على أبنائه أن يعقدوا جلسة طارئة

ليبحثوا أحوالهم ، ويختاروا من يقودهم ؟

وبعد أخذ ورد ، وتجادب وصلح

وافقوا على أن يتولى الأكبر أمور البيت

رغم طبيته الواضحة ،

وعدم تمكنه تماما من السيطرة

**

لذلك لم تمض فترة طويلة

حتى بدأ المشقاق والنزاع

وعلت أصوات لم تكن تملو من قبل

وراح البعض يطالب بالاستقلال بنفسه

سواء فى المدخل أو المصروف

وكان البعض حاد المزاج

فكان لنا يكلم إخوته

وإذا سلموا عليه .. لم يرد السلام !

**

وهكذا تغيرت الروح المتى كانت سائدة

فى البيت الكبير

فبعد أن كانت السماحة والقناعة والمودة

هى المتى تسرى بين الجميع

حل محلها الحقد والحسد والمشراة

وصار كل منهم لنا يتحمل كلمة

أو حتى مجرد نظرة من أخيه

ثم جاءت المضربة القاضية :

إعلان رسمي بضرورة إخلاء البيت

في أقرب وقت

لأنه آيل للسقوط ..

وعلى الفور

حمل كل منهم أغراضه

وكراميه

وانتقل إلى شقة أو غرفة صغيرة

تقع في أحياء مختلفة ومتباعدة

ولم يعودوا يتقابلون إلا صدفة

أو حين يقع لأحدهم حادث

أو أحياناً في زفاف أحد أبنائه !

و المصروف